

نجم عذوف , يخلع الصمت , عند إنكسار المدن

(3)

هاتف بشبوش

الشمعة المخبولة الهادئة كانت تطرز وتضيئ أزقة السماوة وشاطنهما الفراتي العذب كل يوم وعلى سنواتٍ طويلة , الشمعة هذه هي (مجيد المجنون) الذي مات وألهم الشاعر نجم عذوف في أن يسارع بعد موته ويكتب نسا عنه بعنوان ( إنكسار المدن) , ولم يكفيه النص , بل جعل ديوانه هذا يحمل عنوان (إنكسار المدن) وقد توفى في هذا الأختيار , كما وأنه أثاب واستتاب كما يقولون.

في هذا النص يعطينا الشاعر , رؤيا كونية واضحة , للروح الأنسانية الضائعة في الكون الشاسع , في العقل المجنون الذي يفقد السيطرة على مسلته الدماغية , ولم يستطع تحديد المعرفة . في هذا النص نجد الدليل المعنوي لمناصرة الشاعر للناس المعدومين والفقراء , إضافة الى كونه قد أرخ السماوة في هذا العنوان , حيث أن مجيد المجنون يمثل حقبة زمنية شهدت الكثير من مآسي الشعب العراقي منذ الستينيات وما مر به العراق من ويلات حتى وقت مماته قبل أكثر من عامين , حيث إن هذه الفترة هي المظلمة في حياة الشعب العراقي , في الكثير من جوانب الحياة , الفقر , والوضع السياسي والصراع بين الأحزاب اليسارية والقومية الشوفينية , إضافة الى التقاليد التي نهشت بالشعب العراقي ومنها التي أدت بمجيد أن يكون مجنوناً , وهي حبه الى أحد بنات السماوة , ولم يحالفه الحظ بسبب فقره والتقاليد البالية وهو الوسيم الملقب بمجيد كابوي

لطوله الفارع , وتصرفاته اليومية بتمثيله مشاهد أفلام الويسترن الشائعة نذاك . لنقرأ بداية نص ( إنكسار  
المدن).....

ماذا بقى لهلوساتنا لقد مات مجيد\*

ولم يترك خلفه إرث قيصر

مات ولم يترك خلفه سماوات متأرجحة

أو معابد لآلهة حناؤها دم الضحايا

مات ولم يترك رقما للوحه الطيني على أسوار أوروك

مات مجيد ليس كسائر البشر , الذين يأتون ويذهبون في هذه الحياة دون أن يذكر شئ عنهم , بالرغم من  
كونه مجنوننا , الأ أن مجيد ترك خلفه تأريخ من خلاله نستطيع أن نستدل على تلك الحقبة الزمنية , مات  
مجيد , ليس كما الذين سرقوا المال العام , أو بنوا ثروتهم على حساب الآخرين , مات لايملك شيئا سوى  
الحالة التي وصل اليها والحالة التي كان يتمتع بها المجنون كونه كان يحفظ الكثير من الأشعار عن ظهر قلب  
, وليس بمقدوره أن يحفظ قطعة نقدية في جيبه الخاوي . هذا هو مجيد المجنون بلحيته الرمادية التي هي  
أجمل بكثير من لحى الدواعش القذرة . مجيد يكتفي في كل الفصول , ويقنع بالقليل ولن يتوسل بالمزيد أن

يأتي , لقد كتب عنه الكثير من الأدباء في السماوة , ومنهم الروائي زيد الشهيد في روايته الأخيرة (تراجيديا مدينة) فيقول عنه في جانب من فصول الرواية ..( بدأ عشقه لأفلام الويسترن من فيلم (العربة الأخيرة (لكاري كوبر وفيلم ( الرجل من لارمي) لجيمس ستيوارت وكاثلين أودونيل وبعده (القيادة) , لغي ماديسون وجوان ولدن , ثم تتالت مشاهداته وولعه حتى استحال الولوج سلوكا يوميا ومشاهدات من باب الأدمان , ذلك أثار إنتباه الناس وقسمهم الى قسمين , قسم يسخر من تصرفاته ويحسبها مثيرة للتفكه والضحك , وقسم يتأسى ويحزن لأنّ مثل هاتيك السلوكيات قد تسوقه نحو هاوية فقدان العقل ) , وبالفعل إنتهى مجيد حتى مماته مجنونا قرب مدرسة سومر , ممدا أمام سياجها العريض الذي كان يمثل فوقه أيام صباه , أحد أبطال الكاوبوي أمثال كلنت إيستوود وجون واين.

كان في عجد دبعن\* تلتقي عشتار بدموزي

للأخصاب

لكن الآلهة السفلى وضعت حرسا سريريا كي لا تتكاثر الطرق

إذا من يسفح الدمع على إنكسار المدن العقيمة

مجيد يقال عنه كان عاشقا لأحد بنات الجيران , والتي بسببها أصبح هائما شاردا يشكو عدم الوصال الذي عذبه لسنين طويلة ثم بعدها تعطلت خيوط عقله. هذه الحالة يزخر بها مجتمعنا كما قال مظفر النواب ( عراقي الهوى وشيمة فينا .. أن الهوى خبلٌ) . هو دموزي زمانه وهي عشتار زمانها , وشاءت الآلهة أن يكون خبرهما على هذه الشاكلة وما من دمع ينسال كي يخفف مما أصاب ذاكرة المدينة النائمة على هالة من التقاليد المؤلمة والتي تقف حجر عثرة بوجه من يعشق بكل جوانحه وكماله.

فبأي حزن تذكرني .. آه

أيتها الذاكرة المسورة بالخوف والألم

لا أملك صوت وطن لأقيم الصلاة على عينيه المتوقفتين

يامجيد\* أيها المتشظي الى نصفي المجهول

من وسد صراخك الأخير وأنت تبحث عن نصفك المفقود

هي الذاكرة التي يعيش عليها المرء , مهما طال به الزمن , لولا الذاكرة لما كانت هناك سعادة أو حزن , الذاكرة هي هوية المرء , وبفقدان مجيد لذاكرته , أصبح إنسانا لا يمكن له أن يعرف هويته بسهولة , الذاكرة هي عمود خيمة الحياة , وبدونها لا يمكن أن نستدل على صبانا وخفة طفولتنا . ثم يعرج الشاعر بسطور عزاء

الى مجيد , وماذا يفعل المرء غير التأسى والبكاء لفقده صديق أو قريب , أنها عادة يشترك فيها بني البشر على وجه الفسيحة , عدا الاختلاف في كيفية ممارسة الطقوس العزائية , لنقرأ السطور في القطعة أدناه.....

بجانب بيتي مقبرة

وقصائدي مقابر لموتانا

ووطني مقبرة

وأنا أعيش في مقبرة

ساو صد باب الترحال كي لا يكون هناك إنتظار آخر

في هذه الثيمة يتكلم الشاعر عن نفسه في الواقع , حيث نعرف أنّ المقابر في أوربا هي في وسط المدينة وأحيانا بجانب البيوت كما حصل مع بيت الشاعر نجم , علاوة على أنّ الديوان ( إنكسار المدن ) يحتوي على قصائد كثيرة كما أسلفنا مهداة الى أصدقائه الذين وافاهم الأجل , هذا يعني أنّ القصيدة هي مقبرة أيضا , وطننا العراقي اليوم هو بمثابة مقبرة لكثرة الموت الذي يحصد العشرات يوميا . وبتعبير رمزي آخر مثير للتساؤم أنّ العالم كله عبارة عن مقبرة كبيرة لامتناهية . المقبرة هي رمز الموت والرحيل الأبدي , والموت أرق وأقلق الكثير من الشعراء , ولذلك راح الشاعر نجم يكتب نصه ( إرجوحة القلق)...

جنازتي التي يصلي عليها المنفى

تشتري صبح صلاة الدفن

قرب أشجار الصنوبر/أيها الغائبون...الحاضرون

تعالوا نضمد جراح الأرض

الأرض تشتكي لكثرة مايتواجد عليها من مظالم , ومن جرائم ترتكب بحق البائسين والفقراء , الشاعر هنا رغم أرقه من الموت لكنه لايهتم للأرض التي سوف يدفن فيها , الشاعر يصرح لنا أنه على خطى جيفارا الثائر الذي قال ((لايهمني أين ومتى ساموت , بقدر مايهمني أن يبقى الثوار يملنون العالم ضجيجا , كي لاينام العالم بثقله على أجساد الفقراء والبائسين والمظلومين) . دعوة الشاعر ( تعالوا نضمد جراح الارض) , هي صرخة ضد الطغيان , كلمة يراد منها التغيير والعبور الى الضفة الأخرى التي يجب أن يعيش فيها المرء بالهناء والسعادة , هي دعوة أممية الى التحشيد للخلاص مما يحصل في هذه الأرض من مظالم الأمبريالية العالمية التي سلبت الشعوب حقوقها.

ياصاحبي لاتملك غير السعال المر وقمامة

الذكريات التي نقتات عليها

ياصاحبي نحن وقصائدنا لانملك غير رصيف البؤس

الذي يرقد تحت الشمس

في الثيمة أعلاه نجد للشاعر تصريحا آخر , بأنه لايملك سوى قصائده , قصائده الخالدة, الساطعة كسطوع الشمس , هنا يوجه نداءه الى صاحبه , لكن النداء هو شمولي , نشتم فيه الكثير من الحيف الذي وقع على الشاعر, لكنه ليس بيديه زمام الأمر , أنه يشكو , يأن , يتألم , يتمنى لو أنّ الأرض تنجبُ ثائرا عظيما يستطيع أن يخلص الفقراء وكلّ من ذاق القهر فوق الشوارع الميتهة وتحت لهيب الشمس الحارق ( ثائرا كالأسد الكريم لا كالحمل , العالم يحتاج الى رب الجيوش , لا الى رب يصلب من جديد , نحن نريد الدينونة الأخيرة ( يوم الحساب ) هنا على الارض ..... كازانتراكيس).

نصّ آخر يتحدث فيه الشاعر عن الموت أيضا, حقاً أنّ هذا الديوان هو بمثابة مقبرة لكثرة ما فيه من نصوص كتبت بحق أصدقاء الشاعر الذين وافهم الأجل . لنرّ أدناه شذرة من شذرات نص ( نوافذ الخراب) بحق صديقه الراحل الشاعر والمسرحي (ناجي كاشي)...

أيتها البلاد لم تركبي الضياع

وَأَنَّ تَهْمَتَكَ الْكَبْرَى هِيَ الْمَوْت

كَمْ تَوَسَّلْتَ الْأَرْوَاحَ بِالْأَنْتِظَارِ الْمَجْهُولِ

أَنَّهُ الْخَرَابُ الَّذِي حُلَّ بِالْوُجُوهِ

نجد في هذه الثيمة لحظات تشبه تلك التي يُحمل خلالها الميت لمغادرة البيت , الشاعر يتهم البلاد بكونها لاتحصد غير الموت , مثلما قال الشاعر العربي الكبير أدونيس ( أَنَّ الْعَرَبَ , يَنَامُونَ , يَسْتَيْقِظُونَ , يَأْكُلُونَ , يَشْرَبُونَ , يَجْلِسُونَ فِي الْمَقَاهِي , يَتَحَدَّثُونَ , يَشَاهِدُونَ التَّلْفَازَ , وَلاَهُمْ لَهُمْ سِوَى لُغَةِ الْمَوْتِ)....

أَيُّهَا الدَّهْرُ .. أَيَّتُهَا السَّاعَاتُ الْمَحْكُومَةُ بِالزَّوَالِ

مَنْ أَجَلَ الْبُؤْسِ .. خَذُوا مَعَكُمْ مَآسِينَا الَّتِي تَنْهَشُنَا

عَبْنَا أَمْسَكَ بِالزَّمَنِ الَّذِي يَأْتِي بِالْفَجِيئَةِ

أَعْلَاهُ فُلُكَةٌ مِنَ النَّصِّ , أَنَّهَا عَصَارَةُ أَلَمٍ وَحُزْنٍ , أَنَّهَا نَوْعٌ مِنَ التَّرْتِيلِ الذَّاتِيِّ الَّذِي يَحَاكِي النَّفْسَ دُونَ دَرَايَةِ وَلاَقْصِدِيَّةٍ , أَنَّهَا تَأْتِي عَلَى السَّجِيَّةِ نَتِيجَةً طَفَحَ الذَّاتُ بِمَا تَحْمَلُهُ مِنْ أَعْبَاءِ يَوْمِيَّةٍ تَرَاكُمِيَّةٍ , أَنَّهَا الذَّاتُ الَّتِي

تريد إيقاف الزمن و إرجاعه الى ماكان عليه كي يلم شتات الأصدقاء والأحبة , لكنها كلها تذهب سدىّ وما من إعانة على البلوى , أنه يبحث وحيدا كما نبتة الفطر وأنّ جميع أواصره بالعالم الخارجي قد إنخسفت وقطعت أوصالها.

أصغي الى روعي وأبكي حزنا على اصدقائي

هل لكم أن تقولوا لي كيف أستدل على أثر روعي

وأصدقائي يلفظون أنفاسهم

لا أثر يبقى سوى ذكرياتنا وحزن بقدر الكون

لن يبقى أثر من الأنسان سوى الذكريات التي تخط وشائجها على صفحات التأريخ الذي لا يحمل في كل الأحوال غير العذابات , إذ أنّ السيرة الذاتية لبني البشر كلها تنظلي بين الويلات والحروب والكوارث , وعليه فأنّ الذاكرة دائما نجدها موسومة بالألم والأوجاع . ذاكرة في كل صفحاتها تحلم أن يكون هناك معبر لأمان الأنسان , أن يكون هناك سمت أزلي يتكون من الافراح والسعادة , سماء تحمي تحتها الأدميين في حياة السلام والأمان , لكنّ الحلم يؤجل على أمل أن يكون هناك إنتظار آخر لتحقيق ما يصبو اليه الأنسان المعذب على طول مسار الحياة ... ولذلك نجد الشاعر كتب نصه (أحلام مؤجلة) الى صديقه الراحل الشاعر( كمال

سبتي) , الذي مات وهو في منتصف الحلم , مات ولم يكمل مشوار القصيدة , مات وكلنا نبحت عن نهاية  
القصيدة التي تركها لنا كمال سبتي , نريد أن نجد مخرجا لقصيدته التي ماتت بين الأسطر , لكننا لانمسك  
سوى اللهاث وراء الحلم الذي قد تأجل الى الأبد , مات وتركنا في غاية الحزن , تركنا في مسار النهر  
الجاري الى الأبدية المغبرة , الأبدية التي تلوح لنا وكأنها وشاح أسود . وبين الحلم المؤجل والأبدية السوداء  
, ينشد لنا الشاعر نجم أحزانه التي تسري في عروقه كسريان النهر الجارف , حيث يكتب قصيدته ( أحزان  
النهر الضبابية) التي يهديها الى أصدقاءه في المنفى وصديق آخر ولكنه هذه المرة على قيد الحياة وهو  
الشاعر الشفيف ( سعد سباهي) ..

مات الشرطي الذي كان يلاحقني عند البار

حقا

مدن غريبة الأطوار

سنوات مملوءة بالأنذار

لاجدوى أن نتخفى تحت الأناقات الكاذبة

في هذا النص يريد أن يوصل رسالة مفادها مثلما قال الشاعر رشدي العامل .. (لاتحزن/ أن الأوتار/حتى لو

قطعتها سكين الجزائر/ستظل تغني .. تحلم.. تبكي.. تضحك.. ترقص.. في قلب القيثارة).

نص يحمل نكهة السياسة ورجال الأمن الذين كانوا يلاحقوننا ونحن في المقاهي والبارات أو الشوارع التي نبدو فيها في غاية أناقتنا , ولكننا من الداخل مزيفون , لانحمل سوى مخاوفنا , وحياتنا التي يسورها الضباب في جميع النواحي.

نجم عذوف في هذا الديوان قد أَرخ للكثير من الشخصيات الأدبية العراقية , إلا أنه في نصه الأخير , يحدثنا عن شخصية قد قضت معظم سنين عمرها في الأعتراب , حتى أصبحت إنطولوجيا خاصة به , وهذه الشخصية هي ( أبو حالوب) المعروف للقاصي والداني في سوريا وأغلب الظن مازال هناك في سوريا رغم كل الأحداث التي مرت وسوف تمر بسوريا , أنه صامد كالصخر لايمكن أن يتزحزح من مكانه , أنه هناك مثلما تجلس سيدة البحر على صخرة التحدي , تنتظر حبيبها المفقود منذ سنين في عباب البحر . أبو حالوب ينتظر الغائبين عن أرض الوطن , أنه مفتاح البريد لكل من يريد التعرف على أصدقاءه المختفين بين شعاب وطيّات أزمنة الدول . لنر مايقول الشاعر عن مالك الحزين أبو حالوب في قصيدته ( إنثولوجيا الأعتراب .....أبو حالوب)..

أبو حالوب أيها الكائن المكتظ بالنداءات

أرسٍ مراكب الورق على الضفة المفجوعة

ونم كطفلٍ يطارد الرؤيا

نص نبيل ورجولي بامتياز , نص لايسعنا أن نقول على الشاعر سوى أنه مناصر لقضية ما , يروم أن يكون عراقنا بعيدا عن هاوية الألم , نص قادر أن يهز المهد كي تنام أطفالنا على أنغام الأنسام الصيفية مثلما كنا أيام زمان , نص مزدحم بكل الكتب والدواوين والأوراق والوصايا الشفوية , التي كان يحملها أبو حالوب من وإلى الآخرين , نص يرسم عيون أبو حالوب تلك التي كانت تحدقُ في دروب وأزقة وحانات سوريا التي يطرقها الأدباء والمثقفون , أبو حالوب يحرق وينتظر ويحرق ويحرق دون ملل , حتى ينجز ما أوكل اليه من قبل الآخرين , أنه مثال للمصداقية وحفظ الأمانات , أنه شخصية لايمكن تكرارها عبر العصور الآماندر.

كلمة بحق الشاعر.....

نجم عذوف له ستراتيجية في جميع نصوصه , نستطيع أن نرى المقطعية فيها بشكل ناصع , يقتنص الصور , ينتقي المفردات , ويجعلها جنبا الى جنب ومن خلالها نجده قادراً على أن يدهش القارئ . وأنا أستقرأ صفحات الديوان , إكتشفت أنّ نجم شاعراً وكاتب قصيدة على حد سواء , كما وأني وجدت الأطر الموضوعاتية , والشكلية في كل قصائده تقريبا حتى الرمزية المركزة منها والتي يصعب فك شفرتها المهمة من قبل الناقد عند بعض مواقع النصوص . حينما أقرأ نصوص نجم أجدني أمام شاعرا صلبا وقويا غير مترهل , بعيد عن التكرار والملل . أجد هناك شجار مع النفس وعدم الرضا , ومن هذا الشجار والغيض مع النفس ينساق الشعر أنسياقا أعمى ولايجد له جدارا يرتطم به سوى الورق الصقيل , ( الشعرُ يأتي من عدم

رضانا لأنفسنا كما قال الشاعر الايرلندي .... وليم بيتس) . نجم عدوف من خلال حبه ووفائه لأصدقائه يجسد مقالته الفرد لورد نيسون والذي يقول (أن نحب أو نفقد من نحبه أفضل من أن لانحب) , أن نقيم علاقات ونحب أصدقاءنا ونكتوي بنار فراقهم هو الأفضل بكثير من أن نكون معزولين في الصوامع الموحشة.

نجم عدوف يظهر أصدقاؤه الأدباء الذين وافاهم الأجل الى السطح , كي ينفخ فيهم الحياة من جديد , ويمنحهم فرصة العيش بين ظهرانينا, ويشيد بأصدقائه الذين هم على قيد الحياة أيضا , حيث رأينا أغلبهم في الكثير من نصوصه (أبو تحسين , كزار حنتوس , قيس لفته مراد , رعد مطشر , نصيف الناصري في نص (ثمة أشياء تختزلُ الوسادة) , جبار الغزي , ناجي كاشي , كمال سبتي , سعد سباهي , أبو حالوب. )

حياة نجم عدوف تستمر بالديمومة والأصرار , رغم كونها تتمثل في المعاناة , فهي كما القصيدة التي نظمها دوروثي باركر ( حياة وسط الألم) والتي يقول فيها ( أمواس الحلاقة جارحة/ والأنهار نتنة/ والأمراض متعبة /والأدوية تسبب التشنج/ المسدسات غير قانونية/ ورائحة الغاز كريهة/ ومع ذلك نستطيع أن نعيش).

رابط الجزء الأول

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=423705>

<http://www.alnaked-aliraqi.net/article/23172.php>

<http://alakhbaar.org/home/2014/7/172477.html>

رابط الجزء الثاني

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=424846>

<http://al-nnas.com/ARTICLE/HBashbosh/22z2.htm>

عراق/دنمارك